

خطبة الجمعة - الخطبة ٨٢٣ : التوبة ١.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٢٠٢٠ .

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

التوبة :

أيها الأخوة المؤمنون، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى: ٣٠]

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَتَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٥]

فالشيء البديهي، وأول خطوة نحو السلامة، ونحو النجاح، ونحو التفوق والنصر أن نتوب إلى الله، لذلك بهذه الخطبة عن التوبة، ولعل الله سبحانه وتعالى يكرمنا بموضوع آخر متعلق بالتوبة، لكن الأمر بالتوبة واضح في القرآن الكريم، يقول الله عز وجل في سورة النور:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة النور: ٣١]

لكن كلمة (جميعاً) تافت النظر، فلا بد أن تتوبي، أتاب الناس أم لم يتوبوا، أكنت وسط مجتمع شارد ضال أم لم تكن، لا بد أن تتب، لكن الناس إذا تابوا جميعاً قطفت ثماراً يانعة، ما قيمة هاتف عندك وحدك وكل من حولك لا يملكون هذا الهاتف؟ إذاً لا جدوى منه، أما عندما يكون كل من حولك عندهم هذا الجهاز شعرت بقيمتها، وكانت اتصالاتك مثمرة.

أيها الأخوة، الأمر بالتوبة واضح في نص هذه الآية:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور: ٣١]

لعلمكم تتجرون، لعلمكم تسلمون، لعلمكم تسعدون، أما الآية الثانية فهي وعيد:

﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة الحجرات: ١١]

إِمَّا أَنْ تَكُونَ تَائِبًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ ظَالِمًا، فَحِرْكَةُ الْحَيَاةِ نَفْتَضِي مِنْ دُونِ عِلْمٍ، وَمِنْ دُونِ إِيمَانٍ، وَمِنْ دُونِ اتِّصَالٍ بِاللهِ أَنْ تَأْخُذَ مَا لَيْسَ لَكَ، هَذِهِ حِرْكَةُ الْحَيَاةِ، فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَتَبَّعْ، وَلَمْ تَتَعْرِفْ إِلَى اللهِ، وَلَمْ تَلْتَزِمْ مِنْهُجَهُ فَأَنْتَ فِي الْخَطِّ الْآخِرِ حَتَّمًا.

﴿وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة الحجرات: ١١]

أيها الأخوة، لا شك أن كل واحد، بل إن كل مذنب يتمنى أن يتوب، وقد يتورّم أن هناك عقبات تحول بينه وبين التوبة، وهنا موضوع الخطبة، هناك عقبات يتورّمها بعض من أرادوا أن يتوبوا، ويظنّون أن هذه العقبات لا حل لها.

من أصر على المعصية كانت حجاباً بينه وبين الله :

أيها الأخوة، الشيء الأول يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحرير: ٨]

التوبة النصوح هي التوبة التي لا تتّقد بالعودة إلى الذنب:

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

[سورة التحرير: ٨]

بل إن الله سبحانه وتعالى رحمةً بنا كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

((إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات ))

[المعجم الكبير للطبراني من حديث أبي إمامه]

لعلها حقب، أو لعلها أزمنة متعارف عليها وقت ورود هذا الحديث.

((صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فإن ندم واستغفر منها

ألقاها، وإلا كتبت واحدة ))

[المعجم الكبير للطبراني من حديث أبي إمامه]

الإنسان حينما يُذنب يُمهل، لعله يندم، لعله يستغفر، لعله يراجع نفسه، فإن أصر على ذنبه كتب عليه هذا الذنب، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٨٦]

(كسبت) فعل ثلاثي، أما (اكتسبت) فهي فعل خماسي، حينما لا تندم، وحينما لا تستغفر، وحينما تباها بالذنب، وحينما تفتخر به، وحينما تذكره للناس، عندئذ يسجل عليك ذنب.

المشكلة أيها الأخوة مع معظم المسلمين، أن معظم المسلمين لا يقعون في الكبائر كالقتل، والزنا، وشرب الخمر، أي في الأعم الأغلب في بلاد المسلمين هذه كثائر، والناس يبتعدون عنها لأنها

كبار، لكن الذي يهلك الناس تلك الذنوب التي يحتقرونها، وهي الصغائر، فحينما أصرروا عليها قلوبها إلى كبار، حينما أصرروا عليها كانت حجاباً بينهم وبين الله، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: ((إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعْدُهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ))

[البخاري عن أنس]

المشكلة أن المعاصي إذا انتشرت إن لم يكن الإنسان يقطاً، ولم يكن متعلمًا علمًا شرعاً، ولم يكن له مجلس علم، ولم تكن له مرجعية يسأل حول أوضاعه، يظن هذه المعاصي التي أفسداها الناس، وانتشرت، وشاعت حتى أصبحت جزءاً من حياتهم، يظنها ليست بمعاصي. فعن أنسٍ رضي الله عنه قال:

((إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعْدُهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ))

[البخاري عن أنس]

فذلك لا تصاحب إلا من يرقى بك إلى الله حاله، وبذلك على الله مقالة، لا تصاحب من هو أدنى منك ديناً، إنك إن فعلت ذلك رأيت شخصاً وليناً، أما إذا صاحبت من هو أقوى منك إيماناً فتشعر أن هناك مسافات ينبغي أن تقطعها كي تصل إلى مستوى.

## لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار :

أيها الأخوة الكرام، إن المؤمن يرى ذنبه كأنه قاعد تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا - حرّك يده - فذبه عنه.

وهذه قاعدة: كلما عظم الذنب عندك صغر عند الله، وكلما صغر الذنب عندك عظم عند الله، فالمؤمن علامته أنه يرى ذنبه كالجبل، والمنافق يرى ذنبه كالذبابة، لذلك عليه الصلاة والسلام حذرنا فقال: "إياكم ومحقرات الذنوب" دعك من الكبار، لا زلنا بخير إن شاء الله، ولا زال المجتمع الإسلامي بعيداً عن الكبار في خطه العريض. عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَّلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَهُمْ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَهُمْ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْرَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ ))

[أحمد عن سهل بن سعد]

وفي رواية أخرى:

((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ))

[أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد]

وأنا أقول لكم أيها الأخوة، وهذا كلام موجه إلى رواد المساجد لا إلى رواد الملاهي، رواد الملاهي في الكبار، لكن رواد المساجد في محقرات الذنوب: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن

يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، كيف يهلكنه؟ يقول لك: أصلِي فلا أشعر بشيء، وأقرأ القرآن فلا أشعر بشيء، وأذكر الله فلا أشعر بشيء، أي من معاني الخشوع، معنى ذلك أن هناك خللاً خطيراً في دينك، وفي إيمانك، وفي علاقتك بربك، أي أن هذه المحرقات حجبتك عن الله عز وجل، فأيّ ذنب يحجب عن الله، ولو كان صغيراً، مفعول الذنب في الحجاب كمفعول الكبيرة، لكن الكبيرة حجاب مستمر، بينما الصغيرة حجاب مؤقت، لذلك ما من قول يثليج الصدر كقول أحد الصحابة: "لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر على من اجرأك". والحديث الجامع المانع في هذا الموضوع:

### (( لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار ))

[الحارث عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس]

والمثل الذي كنت أضربه توضيحاً لهذه الحقيقة أنك تركب مركبة في طريق عريض جداً، ومستقيم، وعن يمينه واد سحيق، وعن يساره واد سحيق، فإذا حرفت المقود درجة واحدة، وثبت هذا الانحراف فالمصير إلى الوادي، أما الكبيرة فإن تحرف المقود تسعين درجة فجأة، لكن الصغيرة درجة واحدة إن ثبتت فالمصير إلى الوادي.

### اقتران الصغائر بقلة الحياة و عدم المبالاة :

أيها الأخوة الكرام ، ذكر أهل العلم أن الصغيرة قد يقترن بها قلة الحياة، وعدم المبالاة، وترك الخوف من الله، والاستهانة بها، عندئذ تلحق بالكبائر، واعلم أن القرآن الكريم متوازن، فهناك من يأخذ فقرة من آية، ولا يتبعها، يقول لك:

**﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**

[سورة البقرة: ١٧٣]

**﴿نَبِيٌّ عَبْدٌ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**

[سورة الحجر: ٤٩]

أكمل الآية:

**﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾**

[سورة الحجر: ٥٠]

يقول لك:

**﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْتُلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾**

[سورة الزمر: ٥٣]

أكمل الآية:

**﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْدَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**

[سورة الزمر: ٥٤-٥٥]

معنى ذلك أن هذه التوبة، باب التوبة مفتوح لمن أراد أن يتوب، و لمن آمن و عمل صالحاً وأصلح ما سبق منه. شيء آخر، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾

[سورة هود: ٣]

معنى ذلك أن الاستغفار شيء، والتوبة شيء آخر، التوبة فيها زيادة على الاستغفار ألف مرة، المسلمين كلما وقعوا في ذنب فعليهم أن يستغفروه، ينبغي أن تعدد العزم على ألاّ تعود إليه.

## شروط التوبة :

### ١ – الإقلاع عن الذنب فوراً وأن يكون ترك الذنب لله :

لذلك حدد العلماء شروط التوبة ؛ أولاً الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ما فات، والعزم على عدم العودة في المستقبل، فالنوبة تحتاج إلى علم، لابد أن تطلب العلم، فإن طلب العلم، وعرفت أنك واقع في ذنب كبير فلا بد أن تشعر بندر شديد حال النوبة، علم، وحال، أما العمل فالإقلاع فوراً، وإصلاح الماضي، والعزم على ألاّ تعود إلى هذا الذنب.

كذلك شيء آخر مهم جداً، وإذا بحثنا هذا الشيء دخلنا في صميم العبادة، ينبغي أن يكون ترك الذنب لله، لا شيء آخر، إنسان يعاشر الخمر، فينصحه الطبيب أن هذه الخمرة تفسد كبده، إذاً يتتركها أخذًا بنصيحة الطبيب، ليست هذه هي النوبة إطلاقاً، النوبة أن تدع الذنب خوفاً من الله وحده، والذي يدع الذنب خوف كلام الناس، أو خوف أن يفتح ليس تائباً، ولا يسمى تائباً من ترك الذنب لأنها تؤثر على مكانته الاجتماعية، وسمعته بين الناس، ولا يسمى تائباً من حرص على صحته مثلاً كان يزني، فترك الزنا خوفاً من الإيدز، فهذا ليس تائباً.

أيها الأخوة الكرام، بل إن النية في هذا الموضوع لها أثر كبير، عن أبي كعبة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(( إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٌ رَّزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَقَى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُّ فِيهِ رَحْمَةً وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَّزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ قُلَّانِ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَلَجَرْهُمَا سَوَاءً، وَعَبْدٌ رَّزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَقَى فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُّ فِيهِ رَحْمَةً وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ قُلَّانِ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوْزِرْهُمَا سَوَاءً ))

[الترمذى عن أبي كعبة الأنماري]

لذلك أيها الأخوة، لا يسمى تائباً من عجز عن فعل معصية بأمرٍ خارج عن إرادته، هذا الشرط الأول؛ أن يكون ترك الذنب لله.

## ٢ – استشعار قبح الذنب وضرره :

والشرط الثاني أن يستشعر قبح الذنب وضرره، أحد كبار العلماء جزاه الله خيراً عدّ بعض أضرار الذنوب فقال: قد يحرم المرء بعض الرزق بالمعصية، وقد يحرم العلم، ويشعر بوحشة في القلب، وتعسّر في الأمور، ووهن في البدن، وقد يحرم الطاعة، وتمحّق البركة من حياته، ولا يوفق، ويضيق صدره، وهذه الذنوب تولد ذنوباً أخرى، ويعتاد الذنوب، ويجهون الذنب على الله عز وجل، ويجهون على الناس، ويلعنه الناس أجمعون، ويلبس بالذنب لباس الذل، ويطبع على قلبه، ويمنع من إجابة الدعاء، والذنب يفسد البر والبحر، والذنب يقال الغيرة، أو يعدّها، ويذهب بالحياة، وتزول معه النعم، وتتنزل النقم، ويملاً قلب المذنب بالرعب، ويقع في أسر الشيطان، وسوء الخاتمة، وعذاب الآخرة. إذاً ينبغي أن تدع الذنب لله أولاً، وأن تستشعر قبح هذا الذنب، فإن أنسنت به، واستمرّأته، وارتتح له، فهناك مشكلة كبيرة ينبغي أن تعالج، هناك مشكلة يقع فيها بعضهم، كأنْ يبحث عن معصية ذات إثم أقل، دعك من هذه الكبيرة، فيفعل صغيرة، ما دام يبحث عن المعاصي التي لها آثام أقل، فهو في حيز المعصية.

يا أيها الأخوة الكرام، أهم شيء في هذا أن تكون لك بيئه طيبة، أن يكون لك رفقاء صالحون، أن يكون لك مجتمع طاهر، أما إذا عشت مع أهل الدنيا، مع أهل المعاصي والفحور فلا بد أن تعاود الذنب الفينة بعد الفينة.

## ٣ – المبادرة إلى التوبة من دون تأخير :

الشرط الثالث أيها الأخوة: أن تبادر إلى التوبة من دون تأخير، لأن تأخير التوبة في حد ذاته ذنب، والله عز وجل يقول:

﴿فَمَنْ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء: ١٧]

أي بعد الذنب مباشرةً، كلما طال الأمد بين الوقوع بالذنب وبين التوبة أصبح بينك وبين التوبة حجاباً سميكـة.

## ٤ – فلق التائب من أن يعود إلى الذنب ثانية :

الشيء الرابع أنّ التائب، وهو ينعم بالتوبة، وهو غارقٌ في سعادة التوبة، يجب أن يقلقه أن يعود إلى هذا الذنب مرة ثانية، يجب أن يخشع على توبته من النقض.

٥ — استدرك التائب ما فاته من حق الله تعالى :

الشيء الخامس من شروط التوبة أن يستدرك ما فات من حق الله تعالى، إن كان ممكناً، فإن كان ميسوراً، وعليه زكاة سنة سابقة فليؤدي ما عليه من حق الله إن أمكنه ذلك.

٦ - مفارقة موضع المعصية :

أما أخطر شيء في شروط التوبة أن تفارق موضع المعصية، وأن تفارق بيئه المعصية، وأن تفارق رفقاء المعصية، وأن تفارق جو المعصية، وأن تفارق مكان المعصية، لأن وجودك في هذا المكان، ومع هؤلاء في هذه الأجواء، وفي تلك البيئة يدفعك إلى أن تقع بذنبك مرة أخرى.

أعرف رجلاً لم يدع معصية إلا اقرفها، ثم تاب توبةً نصوحًا، إلا أنه اشتاق إلى رفاقه قبل التوبة، وعاد إليهم فنقض توبته.

## ٧ - مفارقة من أعنك على المعصية :

الشيء السابع أيها الأخوة: أن تفارق من أعانك على المعصية، هذا من جنود إيليس، ولا بد من حمية اجتماعية، ولا بد أن تبدل رفلك، من رفقاء سوء إلى رفقاء صالحين، لأن الله عز وجل يقول:

الْأَخْلَاءُ يَوْمَذِي بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَى الْمُتَّقِينَ

[٦٧] سورة الزخرف:

#### **٨- إتلاف كل المحرمات الموجودة في البيت :**

هناك شرط ثامن للتنويه، أن تختلف كل المحرمات الموجودة عندك في البيت؛ كشريط، وكتاب،  
وآلية طرب، والأشياء التي يمكن أن تحزن إليها بعد حين، أو في ساعة غفلة، فينبغي أن تزيلها من  
بيتك، وهذا أيضاً من شروط التنويه.

#### ٩ - اختيار الرفقاء الصالحين و البئة الطيبة :

الشرط التاسع أيها الأخوة، أن تختار الرفقاء الصالحين، والبيئة الطيبة، وأن تأوي إلى مساجد،  
أن تأوي إلى بيوت الله، وأن تكون مع المؤمنين، وهذا معنى قوله تعالى:  
**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**

[١١٩ التغيرة: سورة]

وَمِنْ مَعَانِيٍ هَذِهِ الْآيَةِ:

﴿وَاصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ  
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

من تتبع إداؤ؟ قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

[سورة لقمان: ١٥]

## ١٠ – أن يعمد الإنسان إلى الوقت الذي أمضاه في المعصية فيمضي مثله في الطاعة :

الشرط العاشر من شروط التوبة النصوح أن يعمد الإنسان إلى الوقت الذي أمضاه في المعصية فيمضي مثله في الطاعة، كان يرتاد الملاهي، ينبغي أن يؤوي إلى بيوت الله، كان يفعل السيئات، ينبغي أن يفعل الصالحات.

## ١١ – أن تكون التوبة قبل الغرغرة :

وأهم شرط في هذا أن تكون التوبة قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها، فمن تاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه، ومن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((من تاب إلى الله قبل أن يموت بنصف يوم قبل الله منه قال فحدثني رجل آخر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنت سمعت هذا قال نعم قال فأشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من تاب إلى الله قبل أن يموت بضحوة قبل الله منه قال فحدث رجلا آخر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت سمعت هذا منه قال نعم قال فأشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تاب قبل أن يغدر نفسه قبل الله منه))

[أحمد عن عبد الرحمن بن البيلاني]

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، العاقل من اتعظ بغيره، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالـحين، وأشهد أن سـيدـنـا مـحـمـداً عـبـدـه وـرـسـولـهـ صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

## توعية المسلمين من توجيهات الطرف الآخر للعالم الإسلامي :

أيها الأخوة الكرام، من باب التوعية، من باب توعية المسلمين لما يحاك ضدهم، هناك حرب عسكرية قد تنتهي بانتصار وهزيمة، ولكن هؤلاء في الطرف الآخر يريدونها حرباً تقافية، يريدون تبديل النظم، وتبديل القيم، وتبديل قانون الأحوال الشخصية، فقد وقع تحت يدي خطة يدبرها العالم الغربي ضد المجتمع الإسلامي، ذلك أن هناك توجيهاً لهذه الدول المسلمة أن يكون عقد الزواج عقداً مدنياً بين رجل وامرأة، بينما مؤتمر السكان فرّز أن يكون الزواج بين شخصين، وهذا أمرٌ وأدهى، بين رجل وامرأة بغضّ النظر عن ديانتيهما، وأن يكون العقد أقرب ما يكون إلى عقد شراء سيارة، أو عقار، أو أي شيء آخر بباع ويشتري إلى أمد معين.

أيها الأخوة الكرام، من هذه الخطط الماكرة منع التعدد، لأن هذا تميزاً ضد المرأة، لكن الذي يحصل في بلاد الغرب أن كل زوج له عدد كبير من العشيقات، بينما الإسلام كان منهجاً واقعياً، سمح بالتعدد لحل مشكلات قائمة في أي مجتمع.

أيها الأخوة الكرام، رفع سن الزواج إلى سن متأخرة، والسماح بعلاقات خارج نطاق الزوجية، هذا أيضاً من توجيهات الطرف الآخر للعالم الإسلامي، ونحن إن شاء الله متمسكون بتعاليم الإسلام العظيمة.

شيء آخر فيها الأخوة الكرام، هناك رد اعتبار للمرأة العازبة، ينبغي أن يرد اعتبارها، وهناك رد اعتبار للطفل الطبيعي، الذي لم يكن ثمرة زواج شرعي، وهناك دعوة إلى الثقافة الجنسية، وتوفير الواقي كما يقولون، من أجل عدم انتقال الأمراض من خلال هذه العلاقات، هذا كله يشاع، ويتمسّن علينا أن نصدر قوانين غير فيه أحكامنا الشخصية، عندئذ يغدون علينا بالمعونات، والمساعدات، والقروض، وما إلى ذلك.

## حل مشكلات المسلمين يكون بالعودة إلى الله و التمسك بقواعد الشرع :

أيها الأخوة الكرام، نية الكافر شر من عمله ، نحن ليس لنا إلا أن نعتصم بهذا الدين، قال تعالى:  
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرُّقُوا﴾

[سورة آل عمران: ١٠٣]

ينبغي أن نعتصم بهذا الوحي العظيم، ينبغي أن نعتصم بهذا التشريع الحكيم، ينبغي أن نعتصم بهذا الإسلام العظيم، هكذا ينبغي، فليس لنا من حلٍ إلا أن نعود إلى الله، إلا أن نعود إلى منهج الله، إلا أن نستمسك بقواعد الشرع، ليس هناك من حل، القوة بيد الله وحده، والنصر بيد الله وحده، والله سبحانه وتعالى هو الذي يحمينا، وهو الذي يوفقنا، لكن شرط أن تكون له كما يريد، حتى يكون لنا كما نريد، عبدي! أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعتذر فيما ت يريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

أكاد أجزم أيها الأخوة الكرام بأنه ما من حلّ لمشكلات العالم الإسلامي في القارات الخمس، والله هذه مشكلات لم يمر على العالم الإسلامي وقتٌ في تاريخهم هم في أشد الحاجة إلى أن يعرفوا الله، وأن يعودوا إليه، وأن يتوبوا إليه، وأن يصطلحوا معه كهذا الوقت، فالحل الوحيد في التوبة إلى الله، وابداً بنفسك.

ابن آدم عَظِّ نفسك، فإذا وعظتها فعِظْ غيرك، وإلا فاستح مني، أَقِمِ الإسلام في بيتك، هذا هو الحل الأول، أَقِمْهُ في عملك، أَدِّي الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، واعلم هذه الحقيقة:  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد: ١١]

ينبغي أن يترجم سماع الخطب إلى سلوك، وإلى مواقف عملية، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَائِتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال: ٧٢]

ما لم تقف موقفاً عملياً، ما لم تتخذ قراراً، ما لم تنفذ هذا القرار، ما لم تعدل في حياتك، ما لم تعدل في نظام حياتك، في علاقاتك بالآخرين، فالمؤامرة رهيبة، ونحن في أمس الحاجة إلى التوبة، وموضع التوبة هو الموضوع الأول، لأن سبب كل ما أصابنا هو المعصية، قال تعالى:  
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى: ٣٠]

الحل الطبيعي هو التوبة.

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، و بارك لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل من واليت، و لا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعاليت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحًا يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحربنا، أكرمنا و لا تهنا، آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا و ارض عنا، اجعلنا يا رب العالمين من عبادك الصالحين، صن و جوهنا باليسار، و لا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك، و نبتلى بحمد من أعطي، و نذ من منع، وأنت من فوقهمولي العطاء، و بيدك وحدك خزائن الأرض و السماء، اللهم أصلاح قلوبنا، أصلاح ذوات بيننا يا رب العالمين، أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، أصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، أصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، اجعل الحياة زادنا من كل خير، و اجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، و بطايعك عن معصيتك، و بفضلك عمن سواك، اللهم لا تؤمننا مكرك، و لا تهلك عنا سترك، و لا تتسلينا ذكرك يا رب العالمين، اللهم

بفضلك و رحمتك اسقنا الغيث و لا تجعلنا من القانطين، و لا تهلكنا بالسنين، و لا تعاملنا بفعل  
المسيئين يا رب العالمين، اللهم بفضلك و رحمتك أعز الإسلام و المسلمين، و أذل الشرك و  
الشركين، خذ بيده ولأة المسلمين إلى ما تحب و ترضى، إنك على ما تشاء قادر و بالإجابة  
جدير.

**والحمد لله رب العالمين**